عدد ٢٣ السنة الثانية

# المنار

١٣١٥

في يوم السبت ١٢ ربيع الثاني سنة ١٣١٧ الموافق ١٩ اغسطس (آب) سنة ١٨٩٩

## ﴿ الدين والدولة – أو – الخلافة والسلطنة ﴾

ارتأى بعض من كتب في ( الجامعة الاسلامية ) ان هذه الجامعة تتوقف على الفصل بين الدين والدولة وبين الخلافة والسلطنة بان يكون الخليفة رئيساً روحياً والسلطان رئيساً سياسياً لاعلاقة له بالدين واقترح اصحاب هذا الرأي من كتاب النصارى على كتاب المسلمين ان يكتبوا مبينين رأيهم فيه وهانحن أولاء قد لبينا طلبهم ونبدأ ببيان معاني هذه الالفاظ فنقول

(الدين) عرفه علماء المسلمين بانه وضع الهي سائق لذوي العقول باختيارهم الى الصلاح في الحال والفلاح في المآل وان شئت قلت الى سعادتهم الدنيوية والاخروية وقواعده عندهم ثلاث تصحيح العقائد وتهذيب الاخلاق واحسان الاعمال والاعمال قسمان عبادات ومعاملات ومن الثاني الاحكام بانواعها – قضائية ومدنية وسياسية وحربية. ومن الناس من جعل الاحكام قسما مستقلا بنفسه ولا مشاحة في الاصطلاح . والدين عند النصارى هو (كما في دائرة المعارف) « عبارة عن مجموع النواميس الضابطة لنسبة الانسان الى الله . أو بين صفات تلك النسبة » وهو كما ترى

لاعلاقة له بالامور الدنيوية ولا بالاحكام والسلطة ومن المشهور ان الديانةالنصرانية مبنية على الخضوع لاية سلطة حكمت اصحابهالمافي الانجيل من ان سلطة الملوك انما هي على الاجسام الفانيـة وان سلطة الدين على الارواح فقط فيجب على كل متبع لهذاالدين ان يدين لكل سلطة ويذعن لكل شريعة حكمته بخلاف الدين الاسلامي فانه مبنى على السلطة والغلب وان يحكم العالم كله بشريعته وان لم يدينوا كلهم به اذ لاسبيل الى اتحاد النوع الانساني وجعله امة واحدة الا باحدى الوحدتين ـ وحدة الاعتقاد ووحدة الحكم العادل الذي يساوي بين الجميع وقد بينا هذا في المددالاسبق فلا نعيده . فيجب على المسلمين ان لا يدينوا الا لمن كان على دينهم واذا حاول اجنبي العبث باستقلالهم ودخل فاتح الى بلادهم يتعين عليهم ان ينفروا خفافاً وثقالا ويقاتلوا نساء ورجالا حتى يدفعوا العـدو أو يفنوا عن آخرهم . بل يجب عليهم ان يسعوا في نشر دينهـم ورفع لواء سطلتهم حتى تزول الفتنة والشرك من الارض ويكون الناس امة واحدة تجمعهارابطة الاعتقاد الحق والحكم العادل أو الثاني فقط كما قدمنا وبهـذا الاخير كان الاسلام لا اكراه فيه . ولا تنافي سلطته تقدم غير متبعيه . فضلا عن ايذائهم وهضم حقوقهم (لاينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من ديارهم ان تبروهم وتقسطوا اليهم ان الله يحب المقسطين)

(الدولة) لهذه الكلمة اطلاقان فتطلق على سلسلة من الملوك تجمعهم اسرة واحدة أو جنس واحد يحكمون مملكة من الممالك يقال دولة الامويين ودولة العباسيين والعثمانيين كما يقال دولة الفرس ودولة الرومانيين وتطلق على الحكومة والسلطة فيقال الدولة الفرنساوية ويعني به حكومتها الحاضرة في

مجموع بلادها والحكومة في اصل اللغة مصدر حكم واسم من تحكم بمعنى فصل الخصومة وفي العرف عبارة عن السلطة ورجالها القائمين عليها

(الخلافة) هي في الشرع الاسلامي النيابة عن النبي صلى الله عليه وسلم في حراسة الدين وسياسة الدنيا فهي جامعة للرئاستين معاً ويجب تفويض الامور العامة الى الخليفة" ولا تصح الاحكام في السعة الا اذا كانت صادرة عنه مباشرة أو بواسطة نوابه قال في الاحكام السلطانية (والذي يلزمه من الامور العامة عشرة أشياء احدها حفظ الدين على اصوله المستقرة وما أجمع عليه سلف الامة فان نجم مبتدع أو زاغ ذو شبهة عنه أوضح له الحجة وبين له الصواب واخذه بما يلزم من الحقوق والحدود ليكون الدين محروساً من خلل والامة ممنوعة من زلل (الثاني) تنفيذ الاحكام بين المتشاجرين وقطع الخصام بين المتنازعين حتى تعم النصفة فلا يتعدى ظالم ولا يضعف مظلوم (الثالث) حماية البيضة والذب عن الحريم ليتصرف الناس في المعايش وينتشروا في الاسفار آمنين من تغرير بنفس او مال و (الرابع) اقامة الحدود لتصان محارم الله تعالى عن الانتهاك وتحفظ حقوق عباده من اتلاف واستهلاك و (الخامس) تحصين الثغور بالعدة المانعة والقوة الدافعة حتى لا تظهر الاعداء بغرة ينتهكون فيها محرما أو يسفكون فيها لمسلم أو معاهد دما و (السادس) جهاد من عاند الاسلام بعد الدعوة حتى يسلم أو يدخل في الذمة ليقام بحق الله تعالى في اظهاره على الدين كله و (والسابع) جباية الفيء والصدقات على ما أوجبه الشرع نصاً واجتهاداً من غير خوف ولا عسف و (الثامن) تقدير العطايا وما يستحق في بيت المال من غير سرف ولا تقتير ودفعه في وقت لا تقديم فيه ولا تأخير (التاسع) استكفاء الامناء وتقليد النصحاء فيما يفوضه

اليهم من الاعمال ويكله اليهم من الاموال لتكون الاعمال بالكفاءة مضبوطة والاموال بالامناء محفوظة (العاشر) ان يباشر بنفسه مشارفة الامور وتصفح الاحوال لينهض بسياسة الامة وحراسة الملة ولا يعوّل على التفويض تشاغلا بلذة أو عبادة فقد يخون الامين ويغش الناصح وقد قال الله تعالى « ياداود انا جعلناك خليفة في الارض فاحكم بين الناس بالحق ولا تتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله » فلم يقتصر الله سبحانه على التفويض دون المباشرة ولا عذره في اتباع الهوى حتى وصفه بالضلال وهذا وان كان مستحقاً عليه بحكم الدين ومنصب الخلافة فهو من حقوق السياسة لكل مسترع (لعله مسترعى) قال النبي صلى الله عليه وسلم (كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته) اهـ فهذه وظائف الخلافة بالاجمال

(السلطنة) كلمة أخذها المولدون من لفظ (سلطان) ويعنون بها الدولة أو الحكومة يسمى حاكمها الاكبر سلطاناً ولم يطلق لقب السلطان على احد من خلفاء الامويين والفاطميين والعباسيين وانما حدث هذا اللقب في طور ضعف الخلافة العباسية الذي كان من أثره افتئات العمال في الاقاليم على الخلفاء واستبدادهم بالامر من دونهم واختراع الالقاب الضخمة وتحليهم بها ثم جعل الخلافة اسما مهملا ليس لاربابها من الامر شيء الا نحو ذكر اسمائهم في الخطب وما هو بالامر المهم في الدين ولا في الدنيا ٠ وكان من تلك الالقاب الضخمة التي تلقب بها العمال والامراء الذين استبدوا على الخلفاء لقب (سلطان) وأول من تلقب به من الامراء المستقلين في عهد الخلافة العباسية (محمود بن سبكتكين الغزنوي) الفاتح الشهير في القرن الرابع للهجرة الشريفة

من تدبر ماشرحناه من معاني هذه الكلمات الاربع يتجلى له ان الدين

الاسلامي جامع لمصالح المعاش والمعاد ومبني على أساس السلطتين الزمنية والروحية وان الديانة النصرانية على خلاف ذلك وان الخليفة هو رئيس المسلمين القائم على مصالحهم الدينية والدنيوية وان كل حكومة تخرج عن طاعته الشرعية فهي منحرفة عن صراط الاسلام وان القول بفصل الحكومة والدولة عن الدين هو قول بوجوب محو السلطة الاسلامية من الكون ونسخ الشريعة الاسلامية من الوجود وخضوع المسلمين الى من ليس على صراط دينهم ممن يسمونهم فاسقين وظالمين وكافرين فان القرآن العزيز الذي هو أساس الدين يقرع دائماً آذانهم بل يناديهم من أعماق قلوبهم قائلا بلسان عربي مبين ( ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون ) ( ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الظالمون ) ( ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الفاسقون )

اذا تمهد هذا فنقول للذين يدعوننا الى فصل الدين عن الدولة والتفريق بين السلطنة والخلافة لاجل تأييد الجامعة الاسلامية ان كنتم تدعوننا هذه الدعوة جاهلين بمعنى هذه الالفاظ عندنا فها نحن أولاء قد بيناها لكم فارجعوا عن دعوتكم فقد علمتم ان قياس الاسلام على النصرانية قياس مع الفارق فان فصل السلطة الروحية عن السلطة الزمنية هو أصل النصرانية وقد كان رؤساء الدين تعدوا الحدود وتسلقوا عروش السلاطين والملوك مخالفين لصاحب الدين الذي

قد جاء لا سيف ولا رمح ولا ... فرس ولا شيء يباع بدرهم
يأوي المغارة مثل راعي الضأن لا ... راعي الممالك في السرير الاعظم

فلا بدع اذا ترقى الدين بانصراف رؤسائه الى خدمته وتركهم الاشتغال

بما ليس منه في شيء ونحن والنصارى في هذا الامر على طرفي نقيض فاننا اذا تلوناً تلوهم فيه نكون قد تركنا نصف ديننا الذي هو السياج الحافظ للنصف الباقي . كلا ان الدين كله يكون بهذا العمل عرضة للاضمحلال ومهدداً بالزوال . لاجرم ان ماتدعوننا اليه هو اقرب طريق لاعدام ( الجامعة الاسلامية ) فكيف جعلتموه طريق ايجادها . وهو اقوى علل شقائها . فأنى يقنعوننا بانه علة اسعادها ؟ ؟

وان كنتم تدعوننا اليه عن بينة وعلم . ووقوف على حقيقة الحكم . خدمة لمن فتنتم بمدنيتهم . واتصلتم بهم بجاذبية تعليمهم وتربيتهم . فاعلموا ان العلة لم تهبط بنا الى هذا الحضيض . الذي يقال فيه ( حال الجريض دون القريض ) . وان الجهالة ماامتلخت احلامنا . وأزاغت أبصارنا . ولا رمتنا بالأفن . وضيق العطن . بحيث صرنا نختبل بهذه الوساوس . ونختلب بتلك الهواجس . أو نخدع لذي (خواطر خواطر) . ونغتر بكلام مارق غادر . يصف نفسه بانه « مسلم حر الافكار » . وما جاءت حريته الا من رق الكفار . فان كان اتخذ لقب المسلم ذريعة . لهدم منار الشريعة . فكأين من منتسب مثله للاسلام . ينتهك حرماته بالفعل لا بالكلام . ويساعد الاجانب على نقض أساسه . واطفاء نبراسه . متبجحاً بانه من الاحرار المتمدنين . البرآء من لوث التعصب للدين .

وربما كان الحامل لبعض الكتاب المسيحيين على اقتراح ما ذكر هو اعتقادهم بان زوال السلطة الشرعية الاسلامية هو الذي يساوي بين طائفتهم وبين المسلمين ويخمد نيران الغلو في التعصب فيتفقون على اعلاء شأن الوطن ويخدم كل دينه من الوجهة الروحية التي لامثار فيها للتنافر ولا مبعث للتنافس والتفاخر . ويسهل علينا ان نبين لهم خطأهم فى اعتقادهم هذا فنقول

(١) ان بناء الشريعة الاسلامية قام على قاعدة العدالة والمساواة بين المسلمين وغيرهم في الاحكام والحقوق المعبر عنها بهذه الجملة التي يتناقلها الاسلام خلفاً عن سلف وهي (لهم مالنا وعليهم ماعلينا) وقد دلنا التاريخ على ان الحكومات الاسلامية كانت تراعي هذه القاعدة بحسب تمسكها بالدين قوة وضعفا . ومن قابل بين مساواة أمير المؤمنين عمر بن الخطاب الامام علياً صهر النبي وربيبه وابن عمه برجل من آحاد اليهود في المحاكمة وانتقاد علي عليه بقوله له (ياأبا الحسن) وعده التكنية اخلالا بالمساواة لما فيها من التعظيم وبين ماهو جار اليوم في فرانسا من التحامل على دريفوس وهو من اكابر عظماء اليهود حتى انهم حاولوا قتل وكيله الذي يحامي عنه وهم أصحاب العلم الذي ينطق بالحرية والعدالة والمساواة . يظهر له الفرق بين المسلمين في بدايتهم والاوربيين في نهاية مدنيتهم فالشريعة في نفسها عادلة ولا يضر المسيحيين ان مواطنيهم المسلمين يعتقدون انها سماوية بل هو ينفعهم كما يأتي وهم لا فرق عندهم بين الشرائع اذ دينهم يوجب عليهم اتباع أية شريعة حكموا بها

(٢) ان الترقي الديني والمدني الذي نقصده من احياء (الجامعة الاسلامية) يتوقف على التهذيب وقيام الافراد بما عليهم من الحقوق والواجبات لمن يعيشون معهم وهذا القول لا يخالف فيه احد . ومعلوم ان المسلمين لا يعتقدون بحق ولا واجب الا اذا كان مبينا في شريعتهم ومأخوذاً من أصول دينهم فاذا فصل بين الدين والدولة كان جميع ماتكلفهم به الدولة من الحقوق والواجبات غير واجب الاتباع في اعتقادهم فاذا اخذوا به في العلانية لا يأخذون به في السر ولا يتم تهذيب الامة مالم يكن الوازع لها عن الشر والحامل لها على الخير ثابتا في نفسها مقرراً في اعتقادها . فخير للمسيحيين ان يحكم المسلمون بشريعة ودولة

توجب عليهم احترامهم والقيام بحقوقهم سراً وجهراً وبدون هذا يتضرر المسيحيون ولا يرتقي المسلمون بل يتدلون ويهبطون كما علم بالاختبار والمشاهدة فقد أنبأ التاريخ ان مبدأ الخلل والضعف الذي ألم بنا كان اهمال وظائف الخلافة والخروج بها عن معناها الذي هو حراسة الدين وسياسة الدنيا • ولما ضعف الخلفاء عن القيام بالوظيفتين لجهلهم وانغماسهم في الترف والرفاهية استبد العمال بسياسة الدنيا فكانوا ملوكا وسلاطين وأهملت حراسة الدين فلم يكن لها زعيم يقيم السنن ويميت البدع غير ما كان يأتيه بعض صلحاء الملوك احيانا فتمزق بهذا نسيج الوحدة وتفرق شمل الجامعة الاسلامية حتى وصلت الى مانحن فيه الآن وكان هذا امراً اقتضته طبيعة العمران • ولن يعود الاسلام مجده الا باحياء منصب الخلافة واتفاق المسلمين على امام واحد يعتقدون وجوب الخضوع له سراً وجهراً ولا امام اليوم للمسلمين بهذا المعنى الا القرآن الكريم فيجب على من يهمه ترقية شؤونهم ان يدعوهم به الى العلم والعمل ونفض غبار الجهل والكسل • والقيام بمصالح المعاش والمعاد • على ما تقتضيه سنن الترقي والاسعاد • فهو امام كل امام • وكما كان المبدأ في ترقيهم كذلك يكون الختام •

---

## ﴿ كان ياما كان ﴾

٦

ثم هبطت السيارة السادسة . وكانت كانسة آنسة . فنادت يا أيها الناس المتجرعون كؤوس الكدر والابتئاس . الام تصبرون على هذه الحياة المرة . هلموا أبحكم (الصفاء والمسرة) . فأقبلوا اليها يزفون . كأنهم الى نصب يوفضون . عازمين على انتهاب ماليديها . واغتصاب مافي يديها . شفاء لغيظهم من صواحبها . اللائي كن شبيهات بها .